

الفصل الرابع

أهل الكتاب والبعد الاعتقادي للصراع

- الأرض المقدسة والهيكل في الفكر اليهودي.
- التوراة والهيكل.
- التلمود والهيكل.
- البروتوكولات والهيكل.
- الصهيونية والهيكل.
- الماسونية والهيكل.
- الإنجيل والهيكل.
- مسيح اليهود المنتظر والهيكل.
- مسيح النصارى المنتظر والهيكل.
- عقيدة الهرمجدون والهيكل.
- الشريعة الدهرية.. أو (البقرة الحمراء) والهيكل

صفحة رقم ١٣٩



الجغرافيا الدينية... الأرض المقدسة في أول صفحة في الطبعة العربية من
(الكتاب المقدس)... لماذا؟

الأرض المقدسة والهيكل في الفكر اليهودي

بعد أن استعرضت في فقرات مختصرة ومضات سريعة من تاريخ الأرض المقدسة ومسجدها المقدس قبل مجيء الإسلام وبعد مجيئه وحتى عصرنا الذي نعيشه، وبعد الإشارة إلى عِظَم منزلة بيت المقدس والمسجد الأقصى في الإسلام، أعرض الآن إلى الحديث عن منزلة الأرض المقدسة والهيكل في الوجدان الديني والتراث الفكري اليهودي القديم والحديث، ذلك لكي يتبين لنا مدى ما لهذه البقاع من مكانة عندهم تدفعهم بقوة وتؤزهم بشدة إلى ركوب الصعب والذلول لاستعادة السيطرة التامة الشاملة عليها بشكل نهائي؛ تمهيداً لاستقبال أحداث آخر الزمان التي يرى اليهود أنهم المحور الذي تدور عليه.

ومن الأمور الهامة جداً هنا، أن نبه إلى أن هذا التقديس المشترك هو الذي يمثل البعد الحقيقي الديني لقضية فلسطين والقدس والأقصى، فأهل الكتاب كفار ومشركون، وهذا الكفر والشرك هو الذي يجعل من المستحيل أن يرضى لهم الإسلام بحيازة الأرض المقدسة المختارة من الله لكي يتعبدوا فيها على غير دين التوحيد، وهذا التوحيد أيضاً لو ادعاه اليهود لما قبل منهم؛ لأن التوحيد لا يقبل إلا من آمن بخاتم الرسل وسيدهم محمد ﷺ، أما اليهود والنصارى؛ فإنهم لم يؤمنوا بمحمد ﷺ، ومع هذا الكفر والعناد، يصرون على حيازة تلك الأرض، وإقامة شعائر وشرائع الشرك فيها، بعد أن يقضوا على رمز التوحيد فيها (مسجد الإسرائ).

وهذا البعد الديني، هو ما لا يريد العلمانيون العرب أن يفهموه، فيتحدثون

الفصل الرابع

الآن عن «السيادة المشتركة» و«السيادة الإلهية» و«سيادة الأمم المتحدة» و«حرية العبادة اليهودية عند حائط البراق»، وإذا كان هؤلاء العلمانيون قد وصفوا (وعد بلفور) بأنه: «عطاء من لا يملك لمن لا يستحق». . . وهو كذلك؛ فإن كلامهم عن قضية بيت المقدس هو كلام من لا يفهم فيما لا يملك! . . . وعندما تحدث إحدى الصحف العربية الكبرى عن حق العرب الفلسطينيين في تأدية (الطقوس الدينية) في المسجد الأقصى يتبين لنا على أي وجه يفهمون القضية. . . إنها قضية (طقوس)! يمكن أن يشاركهم فيها غيرهم، أما اليهود والنصارى؛ فالأمر عندهم واضح، وهو أنه لا تفريط أبداً في المكان الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، وعندما يقيمون هيكلهم، (لا أقامه الله) في الأرض المقدسة؛ فإنهم يريدونه خاصاً بـ (طقوسهم).

إن في تراث اليهود القديم حديثاً طويلاً، وسيراً مسهباً عن هذه الأرض وذلك الهيكل وكلمة الهيكل (Eg-gal) (أيكال) كلمة من مصدر سومري، ونقلت إلى اللغة الفينيقية ثم العبرية ثم العربية، وهي تعني (البيت الكبير)، والتصقت هذه التسمية بكل مكان كبير يُتخذ للعبادة، ولما بنى سليمان المسجد الأقصى على هيئته العظيمة التي بناها عليه، نُسب ذلك المسجد إليه، وأطلق عليه أهل الكتاب: (هيكل سليمان)، ويذكر التاريخ أن سليمان - عليه السلام - استغرق في بنائه ثلاثة عشر عاماً، ليستكمل به معالم المدينة المقدسة (القدس) التي بناها قبل ثلاثة آلاف عام. وهي أيضاً كانت موجودة قبل سليمان، وكان المسجد الأقصى قائماً فيها قبل مرحلته التي كان عليها في عهد سليمان. إلا أن المدينة والمسجد شهدا عصرهما الزاهر في زمانه عليه السلام.

ولا شك أن الأرض المقدسة كانت مهاداً وطيناً سكنت فوقه واستراحت في كنفه كل دعوات أنبياء بني إسرائيل - عليهم صلوات الله وسلامه - إلا أن يد

التحريف التي نالت كتب هؤلاء الأنبياء زادت بعد ذلك في المبالغة في الكلام عنهما، حتى أصبح كتاب التوراة مثلاً - وخصوصاً الأسفار الخمسة الأولى منه - عبارة عن حديث متنوع متلون عن الأرض والمعبد في مجال الشرائع والشعائر والأحكام والطقوس . . . إلى آخره .

وإن ولع اليهود في هذا العصر بالحديث عن الأرض والهيكل لا يقل إلحاحاً وترداداً عن حديثهم القديم .

لقد ردد أساطينهم المعاصرون مقولةً تلخصُ موقفهم تجاه هذا الأمر . [لا قيمة لإسرائيل بدون القدس ولا قيمة للقدس بدون الهيكل] قالها بن جوريون، ورددتها بعده بمناسبة وبدون مناسبة مناحم بيجن، وأثبت زعماء اليهود بعدهم بشكل عملي - أن هذه العبارة هي محور التحرك السياسي والعسكري طوال سني الصراع في السلم والحرب .

إن الهيكل بلغ عند اليهود المعاصرين منزلة جعلتهم يتخذون منه رمزاً منقوشاً على العلم الإسرائيلي، إنه (نجمة داود) السداسية . هذه النجمة التي نجدها تتوسط ذلك العلم فلا يرفرف إلا بها . ونجدها مطبوعة على هام الجند اليهود في الخوذات والكابات، ويحملونها على أكتافهم، وتتصدر دباباتهم، وتطير مع طائراتهم، وتنطلق مع صواريخهم، لم يخجل اليهود من اتخاذ هذا الرمز الديني شعاراً لدولتهم «المتقدمة»^(١)، ليذكرهم أيضاً باسم أول من بنى دولة باسم إسرائيل وهو داود عليه السلام . كما لم يخجلوا من قبل أن يسموا هذه الدولة

(١) هناك معانٍ أخرى يقال إن اليهود رمزوا إليها بنجمة داود، منها: أن النجمة تشير إلى ترس داود الذي كان يقاتل به، ومنها: أنها ترمز بثلاثيها المتماثلين إلى تطابق السلطة الدينية مع السلطة الدنيوية، ومنها: أنها ترمز إلى بزوغ نجم ابن داود، وهو مسيح اليهود المنتظر من نسل داود . ولهذا يطلقون عليها أحياناً، نجمة ابن داود . انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري (٣/ ٢٢٤) .

■ الفصل الرابع ■

على اسم نبي هو (إسرائيل) الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، ولا يرى زعماءهم غضاضة في الجهر بترديد آيات من التوراة في كل المحافل تنص على أن أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات؛ بل جعلوا هذه العبارة شعاراً مكتوباً بشكل دائم في أبرز مكان في الكنيسة الإسرائيلي .
ولنتأمل الآن حجم وقيمة المشاعر الدينية عند أهل الكتاب عن الأرض المقدسة والهيكل، قديماً وحديثاً .

أولاً: التوراة والهيكل

التوراة هي في الأصل - قبل التحريف - كتاب منزل من عند الله - تعالى - على نبيه موسى - عليه السلام - ثم ضمت إليها آثار الأنبياء الذين جاءوا من بعده لبني إسرائيل ، فهي مجموعة من الأسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد الرجوع من سبي بابل ، تنقسم التوراة بشكلها الإجمالي إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : التوراة المنزلة على موسى - عليه السلام - وفيها شريعته .

وهذه التوراة تعني عند اليهود الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى - عليه السلام - وهي [سفر التكوين - سفر الخروج - سفر اللاويين - سفر العدد - سفر التثنية] .

القسم الثاني : أسفار الأنبياء ، وهي قسمان :

أ - أسفار الأنبياء الأول ، وهي ستة أسفار :

[سفر يشوع - سفر القضاة - سفر صموئيل الأول - سفر صموئيل الثاني - سفر الملوك الأول - سفر الملوك الثاني] .

ب - أسفار الأنبياء المتأخرين وهي أربعة عشر سفرًا :

[سفر أشعيا - سفر أرميا - سفر حزقيال - سفر هوشع - سفر يوشع - سفر عاموس - سفر عوبديا - سفر ميخا - سفر ناحوم - سفر حبقوق - سفر صفنيا - سفر حجي - سفر زكريا - سفر ملاخي] .

القسم الثالث : الكتب والصحف :

وهو يشتمل على كتب حكم وآداب وأمثال ومزامير وأخبار تاريخية .

والكتب والصحف أيضاً قسمان :

أ- الكتب الكبيرة وهي [المزامير - الأمثال - أيوب - دانيال - عزرا - نحميا - أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني]

ب- الكتب الصغيرة وهي [راعوث - نشيد الإنشاد - الجامعة - المراثي - أستير].

وقد ترجم هذه الأسفار إلى اللغة اليونانية سبعون عالماً من اليهود، وذلك عام (٢٨٥ - ٢٤٧ ق.م) بالإسكندرية. ثم ترجمت إلى اليونانية الحديثة، ثم ترجمت إلى العربية أول مرة سنة ٩٤٢م بواسطة المترجم (سعديا الفيومي)^(١).

وللتوراة نسختان : نسخة عبرانية ، وهي المتداولة على نطاق واسع بين اليهود والنصارى ، والأخرى سامرية ، ولم تترجم إلى اللغة العربية إلا في السنوات المتأخرة . وكل واحدة من النسختين تختلف عن الأخرى في عدد الأسفار ، وفي كثير من النصوص .

والنصارى يطلقون اسم (الكتاب المقدس) على مجموع التوراة والإنجيل ، أو العهد القديم والعهد الجديد ، وهناك اختلاف في الترجمات أيضاً ، فالطبعة التي تستعملها الكنيسة البروتستانتية تختلف عن طبعتي الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية .

وكما سبق أن أشرت ؛ فإن الحديث عن الأرض والمعبد في التوراة يكاد يصبغها بطابعهما ، فمن أول سفر فيها وهو سفر التكوين يبدأ الحديث عن الوعد الإلهي بمنح الأرض المقدسة لإبراهيم - عليه السلام - وذريته^(٢) .

(١) راجع مقارنة الأديان ، ص ٢٣٨ . وقاموس الكتاب المقدس (١/ ٤٥١) .

(٢) انظر : سفر التكوين - الإصحاح ١٢ .

ويتجاهل اليهود أن هناك أمة أخرى غيرهم من ذرية إبراهيم هي أمة بني إسماعيل . ويتناسون أن ذرية إسماعيل - عليه السلام - حسبما هو مسطور عندهم - موعودة بالتمكين والكثرة : [لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها ؛ لأنه بإسحاق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك]^(١) .

[وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً ؛ اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة]^(٢) .

وتتحدث التوراة عن المرحلة المبكرة جداً لاتخاذ إبراهيم - عليه السلام - معبداً في أرض الشام : [واجتاز إبراهيم^(٣) في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة ، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ، وظهر الرب لإبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض . فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له ، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته]^(٤) .

وتتحدث التوراة عن اتخاذ يعقوب معبداً في تلك الأرض :

[فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران ، وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت ، وأخذ من حجارة المكان ، ووضعها تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان ، ورأى حلمًا ، وإذ سَلَّمَ منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ..]^(٥) . [ثم قال الله ليعقوب : قم اصعد

(١) ، ٢١ التكوين - الإصحاح ١٧ ، ٢١ .

(٣) إبراهيم هو إبراهيم عليه السلام - والمذبح اسم يطلق على المعبد .

(٤) التكوين ١٢ .

(٥) سفر التكوين - الإصحاح ٢٨ .

الفصل الرابع

إلى بيت إيل وأقم هناك ، واصنع هناك مذبحاً للرب الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك [١].

وتذكر أن رفات يوسف نقل إلى الأرض المقدسة : [وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الأرض التي اشتراها يعقوب] [٢].

ثم تحكي التوراة أن الصراع بين موسى - عليه السلام - وفرعون مصر كان يدور حول مطلب موسى في الخروج ببني إسرائيل من مصر لكي يعبدوا الله في الأرض الموعودة : [وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالوا لفرعون هكذا يقول الرب إله إسرائيل : أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية . فقال فرعون : من هو الرب حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل ؟ لا أعرف الرب ، وإسرائيل لا أطلقه] [٣].

وبعد الخروج كان على بني إسرائيل أن يشدوا السير ويستعدوا للجهاد لدخول الأرض المقدسة ، وتنزل الشرائع المفصلة لما ينبغي أن تكون عليه الطقوس الدينية المفترضة أن تكون في الهيكل ، ويؤمر موسى - عليه السلام - باتخاذ التابوت وبناء خيمة الاجتماع التي كانت محل العبادة في أرض التيه في سيناء [٤].

وتذكر التوراة بتفصيل موسع جداً صفة التابوت وخيمة الاجتماع ؛ فعندها كانت تنزل التوراة ، وتُفصّل أيضاً في الترتيبات الشعائرية والتعبدية من ذبائح وملابس ومأكل ومشرب [٥].

(١) سفر التكوين - الإصحاح ٣٥ .

(٢) سفر يشوع - الإصحاح ٢٤ .

(٣) سفر الخروج - الإصحاح ٥ .

(٤) تفاصيل ذلك في سفر الخروج - الإصحاح ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) تفاصيل ذلك في سفر الخروج - الإصحاح ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

ثم يؤمر موسى - عليه السلام - بالانتقال ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة :
[وقال الرب لموسى : اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصدته من أرض مصر
إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحاق قائلاً لنسلك أعطيها ، وأنا أرسل أمامك
ملاكاً ، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحيتيين والفرزيين والخوريين واليبوسيين إلى
أرض تفيض لبناً وعسلاً]^(١).

وتبين التوراة أن موسى - عليه السلام - وهارون أخوه ماتا قريباً من الأرض
المقدسة ولم يدخلوها . . ولحبهما لتلك الأرض طلبا الموت قريباً منها : [وكلم
الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم ، هذا جبل نبو الذي
في أرض موآب الذي قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل
ملكاً ، ومت في الجبل الذي تصعد إليه ، وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك
في جبل هور وضم إلى قومه]^(٢).

[... وقال له الرب : هذه الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً
لنسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك ، ولكنك إلى هناك لا تعبر . فمات هناك
موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض موآب
مقابل بيت فعود ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم]^(٣).

وبعد انتهاء عهد موسى - عليه السلام - تذكر التوراة أن (يشوع) أو (يوشع بن
نون) خادم موسى - عليه السلام - كان أول تكليف له أن يخف لاقتحام أسوار
الأرض المقدسة بالجيل التالي لجيل التيه : [وكان بعد موت موسى عبد الرب أن

(١) سفر الخروج - الإصحاح ٣٣ .

(٢) سفر التثنية - الإصحاح ٣٢ .

(٣) سفر التثنية - الإصحاح ٣٤ .

الفصل الرابع

الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم .. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم ؛ لكم أعطيته - كما كلمت موسى من البرية - ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات .. [١].

وتذكر التوراة أن يوشع - عليه السلام - اصطحب التابوت في حين اقتحام الجيش للأرض المقدسة: [فبكرَّ يشوع في الغد، وحمل الكهنة تابوت الرب، والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة أمام تابوت الرب سائرون سيراً وضاربون بالأبواق .. وكان في المرة السابعة أن يشوع قال للشعب: اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة] [٢].

وهكذا يستمر دوران الحديث المكثف عن الأرض والمعبد والمقدسات خلال صفحات التوراة في كل عهود الأنبياء التالي لعهد يشوع بن نون. وذلك في أسفار: القضاة الإحدى والعشرين، ثم أسفار راعوث الأربعة، وأسفار صموئيل الإحدى والثلاثين، وأسفار صموئيل الثاني الأربعة والثلاثين.

ثم تبدأ بعدها مرحلة الحديث عن الأرض والمعبد في العصر الذهبي لبني إسرائيل عهد الملوك، منذ عهد داود - عليه السلام - ثم ابنه سليمان - عليه السلام - ثم ما تلا ذلك من عهود.

وتتحدث التوراة حديثاً طويلاً عن الهيكل الذي بناه سليمان - عليه السلام - وتطنب في ذكر صفاته وهيئاته اللائقة بالنبي الملك الذي أوتي من كل شيء.

(١) سفر يشوع - الإصحاح ١.

(٢) سفر يشوع - الإصحاح ٦.

[فبنى سليمان البيت وأكمله، وبنى حيطان البيت من داخل بأضلاع أرز من أرض البيت إلى حيطان السقف، وغشاه من داخل بخشب، وفرش أرض البيت بأخشاب سرو، وبنى عشرين ذراعاً من مؤخر البيت بأضلاع أرز من الأرض إلى الحيطان، وبنى داخله لأجل المحراب أي قدس الأقداس، وأربعون ذراعاً كانت البيت أي الهيكل الذي أمامه، وأرز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قشاء وبراعم زهور، الجميع أرز، لم يكن يرى حجر، وهياً محراباً في وسط البيت من داخل ليضع هناك تابوت عهد الرب، المحراب عشرون ذراعاً طولاً، وعشرون عرضاً وعشرون ذراعاً سُمكاً، وغشاه بذهب خالص، وغشى المذبح بأرز، وغشى سليمان البيت من داخل بذهب خالص، وسد بسلاسل ذهب قدام المحراب، وغشاه بذهب، وجميع البيت غشاه بذهب إلى تمام كل البيت، وكل المذبح الذي للمحراب غشاه بذهب وعمل في المحراب كرويين من خشب الزيتون، علو الواحد عشرة أذرع، وخمسة أذرع جناح الكروب الواحد، وخمسة أذرع جناح الكروب الآخر، عشرة أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه، وعشرة أذرع الكروب الآخر. قياس واحد وشكل واحد للكرويين..] وتتابع الصفحات في وصف هيكل سليمان الذي استغرق بناؤه حسب قول التوراة سبع سنين.

ثم نقل تابوت العهد . . [حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط رؤساء الآباء من بني إسرائيل إلى الملك سليمان في أورشليم لإصعاد عهد الرب من مدينة داود، هي صهيون . . وجاء جميع شيوخ إسرائيل، وحمل الكهنة التابوت، وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة، فأصعدوها الكهنة واللاويون والملك سليمان وكل جماعة إسرائيل المجتمعين إليه معه، أمام التابوت كانوا يذبحون من الغنم والبقر مالا يُحصى ولا يعد من

(١) سفر الملوك الأول - الإصحاح ٦ .

الفصل الرابع

الكثرة، وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس إلى تحت جناحي الكرويين^(١).

وبعد أن أتم سليمان - عليه السلام - بناء الهيكل تذكر التوراة على لسانه ابتهالاً أخذ اليهود منه معتقدهم في الرجل الذي لا بد أن يخرج من نسل داود^(٢) فيحكم العالم من كرسي إسرائيل . . [ووقف سليمان أمام مذبح الرب ، تجاه كل جماعة إسرائيل ، وبسط يديه إلى السماء وقال : أيها الرب إله إسرائيل ، ليس إله مثلك في السماء من فوق ، ولا على الأرض من أسفل ، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم ، الذي قد حفظت لعبدك داود أبي ما كلمته به ، فتكلمت بفمك وأكملت بيدك كهذا اليوم . والآن أيها الرب إله إسرائيل ، احفظ لعبدك داود أبي ما كلمته به قائلاً : لا يُعَدَم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل ؛ إن كان بنوك إنما يحفظون طرقهم ، حتى يسيروا أمامي كما سرت أنت أمامي . .]^(٣) ولكن اليهود لم يقيدوا معتقدهم هذا بالمحافظة التي نص عليها العهد ، وظنوا العهد مفتوحاً لهم ولو كفروا وبغوا وتكبروا .

هذا . . ولا يفوتني هنا أن أنبه على أن هذه العقائد التوراتية اليهودية فيما يتعلق بالأرض المقدسة والمعبد المقدس هي أيضاً عقائد دينية عند النصارى الذين يدينون بدين الكتاب المقدس : (التوراة ومعها الإنجيل) .

(١) سفر الملوك الأول - الإصحاح ٨ .

(٢) يأتي الحديث مفصلاً عن عقيدة (الماسيا) أو المسيح المنتظر عند اليهود .

(٣) سفر الملوك الأول - الإصحاح ٨ .